مرافئُ فِي ذاكرةِ يحيى السماوي

(الحلقة السادسة والعشرون)

لطيف عبد سالم

يقولُ أدونيس إنَّ الشعرَ ليس مجردَ تعبيرٍ عَنْ الانفعالاتِ وَحدها، إنَّمَا هو رؤية متكاملة للإنسانِ وَالعَالم وَالأشياء، وَكُلُّ شاعرٍ كبير هو مفكرٌ كبير. وَلا أخفي سراً أَنَّ تمعّني فِي الرؤيةِ المذكورةِ آنفاً، كان مِنْ بَيْنِ أهمِ الأسباب المَوْضُوعِيَّة الَّتِي حفزتني للخوضِ فِي غمارِ - مَا أتيح لي - مِنْ تجربةِ الشاعر الكبير يحيى السماوي بأبعادِها الإنسانيَّة، بعد أنْ تيقنتُ مِنْ سموِ منجزه الشعري المغمس بثراءٍ فكري وَحس وَطني وَوَعى عقلاني يعبرُ عَنْ إيمانٍ بسلامةِ الخطى وَوضوح الرؤية، فلا غرابةَ فِي أنْ يكونَ للإنسانِ وَالحبِ والجمالِ حضورٌ وجدانيٌّ فِي مَا تباينَ مِنْ أجناسِ نصوصِه الشعريةِ الرشيقةِ الأنيقة، والمؤطرةِ بذوقٍ عالٍ وحسٍ مرهف، بالإضافةِ إلى توشيمِ بعض فضاءات نصوصه الشعرية بمفرداتٍ منتخبةٍ بعنايةٍ وَدرايةٍ مِنْ مَوْرُوثنا الثَّقَافِيّ والاجْتِمَاعِيّ؛ مُوظِفاً مَا تكتنزه ذاكرته المتقدة المتوهجة مِنْ صورٍ مَا بَيْنَ طياتها، وَالَّتِي ظلت ملتصقة بوجدانِه وَلَمْ تفارقه، فثمَّةَ مفردات مِن التراثِ الشَعْبِيِّ مَا يَزال لها صدى فِي بعضِ نتاجاته الشعريَّة.

يمكن الجزم أنَّ مِنْ بَيْنَ أهمَ المقومات الهيكلية الَّتِي ارتكزت عَليها الإبداعية المائزة لتجربةِ السَّماويّ يحيى الأدبية، تمثلت فِي روعةِ نظمه الشِّعر وَعذوبة تقريضه، وَالمبهر مِنْ جماليةِ الصورة البلاغية، بالإضافةِ إلى خروجِ آليات نظم الشِّعر لَديه عَنْ المألوفِ فِي إثارةِ المتلقي، طالما أنَّ الشِّعرَ وَأساليبه - بحسبِه - فِي تطورٍ متأتٍ مِنْ كونَه ابن الحياة المتحركة، فالسَماويّ يحيى يرى أنَّ قصيدةَ النثر تمثل إضافة جديدة للأدبِ العربي، أو دماً جديداً لجسدِ القصيدة العربية، حيث أنَّه مَعَ كُلِّ جديد إبداعي، فالشِّعر بحسبِه : " ليس الوزن والقافية، فلو كان الوزن وَالقافية وَاللغة السليمة تُشكل

مستلزمات الشِّعر وَثوابته وَشروطه؛ لأصبحت ألفية ابن مالك ملحمة شِعْريَّة، بينما هي فِي حقيقتها لا تعدو كونها منظومة لغوية ليس فيها مِنْ بيدرِ الشِّعر ولو بمقدارِ حبة خردل ". يضاف إلى ذلك أنَّ مَا يهمّ السَماويّ فِي القصيدةِ هو حجم الشِعْريَّة وَليس شكل القصيدة، حيث يشير إلى هذه الجزئية المهمة بالقولِ : " يعنيني مِن الثمرةِ لبّها وليس قشرتها الخارجية، وهذه الشِعْريَّة هي الَّتِي جعلتني أركض وراء نصوص محمد الماغوط وسرجون بولص وسيف الرحبي ووديع سعادة وناهض الخياط وهادي الناصر وعبد العظيم فنجان وماجد الشرع وكريم جخيور وشعراء بُهِرتُ بهم مؤخرا مثل علوان حسين وهبة هاني وطارق الحلفي وفائز الحداد ومثلائهم، بينما لا أعير مثل هذا الإهتمام للكثيرِ مِنْ شعرِ الشطرين والتفعيلة ولسببٍ جوهري، هو ندرة الشِعْريَّة فيه ". وَحولَ تعمده وضع جملة " نصوص نثرية " عَلَى بعضِ إصداراته، فإنَّ السَماويّ يحيى يعزو ذلك إلى سببينِ جوهريين، أولهما أنَّ نصوصَه لا تتوافر فيها كُلّ شروط قصيدة النثر كالتوهج وَاللازمنية وَالإقتصاد فِي الكلمات، حيث أنَّها أكثر مِنْ كونِها خواطر، لكنها فِي نفسِ الوقت أقلّ مِنْ كونِها شِعرا، فِيما يتمثل السبب الآخر بحبِه لتشكيلِه النثريّ وعدم خجله منه، الأمر الَّذِي يفرض عَلَيه عدم إلباسه ثوباً عَلَى غيرِ مقاسه؛ إذ أنَّ خلودَ النص بحسبِه " ليس فِي فصيلةِ جنسه الأدبي، فالجاحظ مثلاً كتب النثر وَليس الشِّعر، ومع ذلك فقد عاش نثر الجاحظ بينما مات شعر كثيرين مِنْ مجايليه ".

الليلُ مصلوبٌ على نافذتي
والفجرُ يرتدي عباءةً من الغيومْ

*

جَفَّ بريقُ البدرِ في عينيَّ
والنجومْ

*

وها أنا مئذنةٌ صامتةٌ

وضحكةٌ حَزَّ صداها خنجرُ الوجومْ

*

لابُدَّ من خمرٍ جديدٍ

غير خمرِ التمرِ والتفاحِ والكرومْ

*

خمرٍ إذا شربتُهُ أصحو

ولكنْ

تسكرُ الكأسُ وتنجلي بهِ الهمومْ

*

عَتَّقَني في طيشِهِ أمسي

وعَتَّقتُ غدي في غفلتي

فهل أنا " ثمودُ "؟

أمْ " سدومْ "؟

***

المثيرُ للاهتمامِ أَنَّ منجزَ السَّماويّ يحيى الإبداعيّ، ألزمه التحليق فِي فضاءاتٍ بعيدة اعتمد فِيهّا عَلَى حنكةِ إزميله اللغوي التصويري فِي نحتِه المثيرَ مِنْ أبياتِ الشِّعر، أو نقشه الأنيق مِنْ جملِ النثر. وَمِنْ هُنَا فإننَا لا نبعد عَنْ الصَوَابِ أو نبالغ إذا قُلْنَا إنَّ قدرته عَلَى إيقاظِ الإحساس بالجمالِ لدى المتلقي، كان له أثره الإيجابي فِي المُسَاهَمَةِ باستعدادِ المتلقي التفاعلِ بشكلٍ وجدانيّ مَعَ نتاج الشاعر المترجم لَه؛ نتيجة شعور القارئ أو السامع بحالةٍ مِن الانتشاءِ الَّتِي ملؤها الاندهاش، وَرُبَّما الانبهار أو الذهول، وَالَّذِي يترك فِي النفسِ وَالذهن أثر الرضى وَالارتياح؛ لذا لا عجب مِنْ كثرةِ الباحثين أو الكُتَاب، وَكذلك النقاد الَّذين انهمكوا فِي دراسةِ القيمةِ الإبداعية وَالفَنِّيَّة لمنجزِ السَّماويّ الشِّعْريّ، حيث تناول نتاجه الكثيرَ مِن

الدارسين وَالباحثين وَالنقاد بدراساتٍ تحليلية وَمقارنة وإحصائية، فضلاً عَنْ أبحاثٍ نقدية، وَرسائل ماجستير وَأطاريح دكتوراه، وَكَتب عَنه عشرات الأدباء وَالكتاب وَالشُّعراء فِيمَا تباين وَتعدد مِن : الدورياتِ وَالصحف وَالمنتديات وَالمواقع الإِلِيكْتُرُونِيَّة - المَحَلِّيَّة وَالعَرَبيَّة وَالعَالَميَّة - مواضيع بمختلفِ المحاور الخاصة بتجربتِه الأدبية المتميزة، بالإضافةِ إلى تَرجمةِ مختارات مِنْ شعره للغاتٍ عدة، لعلَّ مِنْ بَيْنَها الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الإسبانية، الفارسية، الإيطالية، الأوردية، الصربية، الكردية وَالهندية. كذلك ساهم السَّماويّ فِي تأسيسِ العديد مِن الروابطِ وَالمنتديات الثقافيَّة، إلى جانبِ إيجابية المشاركة فِي فعالياتِها. وَمِنْ بَيْنَ البحوث وَالدراسات الكثيرة الَّتِي كتبت عَنْ خطابِ السَماويّ يحيى الشعري، وصلني مؤخراً مؤلف الدكتور باسم خيري الموسوم " التماسك النصي في شعر يحيى السماوي - نحو منهج في التحليل النصي للخطاب الشعري - ديوان أطفئيني بنارك أنموذجاً " وَالَّذِي سجل فِي مقدمته مَا نصه " حاولت أن أغوص في نصٍّ عالٍ، حمل في طياته تأريخ وطن، ومعاناة شاعر لم ينعم بوطنه، أجبر على مغادرته، فحمل وطنه معه في وجدانه، لم يتحمل فراق وطنه، فكان تميمته التي لا تغادره، كان وطنه حبيبته التي يسعى للفوز بدفء فراشها، كان وطنه أمه التي لم يمل قبلاتها على جبينه، كان وطنه شقوق أرجل والده الذي أعياه طول الزمان وتعاور الظالمين. أبحرت في هذا المبحث في لغة شعرية عاشقة، ومعجم قلَّ ما نجد مثل شفافيته وتميزه، فكانت قصائده كمنبع صاف ينهل منه العاشقون، ويرتوي منه الظمآن، يرتوي منه من أعياه فراق الأهل والأحبة، ولا يجد سوى كلمات السماوي ملجأ يأوي إليه. لقد مثل السماوي في شعره عودة للشعر الرومانسي الهادف، فكانت قصائده تحاكي حبيبة، وتناجي وطنا ".

تعِبتُ من الوقوفِ على رصيفِ الليلِ

مشلولَ الخطى والدربِ
أعمى القلبِ لا البَصَرِ

*

وأتعَبَني السؤالُ الصعبُ :
كيفَ غدوتُ في عِشقٍ على كِبَرِ؟

*

سَلي واديكِ يامعصومةَ البستانِ
عن مطري

*

أمثلي في الهوى صُبحٌ ضَحوكُ الشمسِ دافئها
وليلٌ راقصُ القمرِ؟

*

ومثلُ رغيفِ تنوري وكوثرِ جدولي؟
مثلي نديمٌ ساحرُ السَّمرِ؟

*

وهل رمحٌ كرمحي عند مُشتَجَرِ؟

*

وهل طيشٌ كطيشي أو حياءٌ مثلما خَفَري؟

*

ومثلُ تبتُّلي في غرَّةِ السَّحَرِ؟

*

بلى قدَرٌ
ولا منجىً من القَدَرِ !

*

مِـنْ المعلـومِ أنَّ مدينـةَ السَـماوة تُعَـدُّ بوصـفِها الـرَّحم الـذي أنجـبَ السَّـماويّ يحيـى، فضـلاً عَـنْ كونهـا بحسـبِه جنتـه وَجحيمـه معـاً، لكنهـا عَلَـى الـرغمِ مِـنْ أثـرِ معطياتهـا فِـي بلـورةِ شخصـيته، لَـمْ تُنجـب شـاعريته، فالَّـذِي أنجبهـا - بحسـبِه - هـو " الفقـر وَالشـعور بغيـابِ العدالـة فِـي " وطـنٍ يغفـو عَلَـى بحيـرةِ نفـط، إلآ أنَّ فقـراءه مـازالوا يسـتخدمون روث البقـر وَسـعف النخيـل وقـوداً للطـبخِ والتدفئـة، وطـن سـوط الحـاكم فِيـه أطـول مِـنْ يـدِ العدالـة، وَالحـزب الحـاكم فِيـه وَحـده المبشّـر بجنـةِ النعـيم السـحت وَجميـع الإمتيـازات ". وَيعبـر السَّـماويّ عَـنْ آهـاتِ السـواد الأعظـم مِـنْ شـعبِه، وَمَـا يعانيـه مِـنْ قسـوةِ الأنظمـة الحاكمـة بشـكلٍ دقيـق بقولِـه : " أنـا ابـن أمٍ قرويـة وأبٍ بقـال، أطلقـت أوّل صـرخة بكـاء حـين طردتنـي أمـي مِـنْ رحمِهـا ظهيـرة يـوم ربيعـي فِـي بيـتٍ طينـيّ، ومـا زلـتُ أواصـل صـراخي احتجاجـاً علـى الفقـرِ فـي وطـنٍ يغفـو عَلَـى بحيـرةِ نفـط لا يمتلـك مِنـه الفقـراء إلآ السّـخام، وإدانـة لساسـةٍ وَعـدونَا بـالفردوس، فقادونـا نحـو الجحـيم ". وَبنبـرة وجدانيـة مـؤثرة تجسّد مواطنتـه بمسـحةٍ عاطفيـة قـال السَّـماويّ يحيـى ذات أديلايـد : " غـادرت وطنـي قبـل نحـو ربـع قـرن هربـاً مِـنْ حبـلِ مشـنقة، لكننـي بقيـت مشـدوداً إلـى رحمِـه بـأكثرِ مِـنْ حبِـل مشـيمة ". وَلـيسَ أدل عَلَـى ذلـك مِمَـا يحضـرني الآن مِـنْ حادثـةٍ مـؤثرةٍ رواهـا لـيّ السَّـماويّ منـذ سـنوات، حيـث اشـترى محدثي بيتـاً فِـي أسـتراليا، وأصـبح لَـه حـق التصـرف بحديقـةِ المنـزل، فَعمـدَ إلـى شـراء فسـيلة نخلـة، وَاضـطر لتـوفيرِ منـاخٍ لهـا كالَّـذِي فِـي بسـاتينِ البصـرة أو السَـماوة، فضـلاً عَـنْ رعايتِـه لهَـا كمـا ترعـى الأم وليـدها البكـر وَالوحيـد، حتـى كبـرت وَازدادت طـولاً، حيـث صـارت بحسـبِه " أطـول منـه، وأضـحى عمرهـا أكبـر مِـنْ عمـرِ ابنتـه سـارة "، وَالغريـب فِـي أمـرِ نخلتـه المدللـة أنَّهـا أصـبحت لهـا أعـذاق، بَيْـدَ أنَّهـا لَـمْ تثمـر أبـداً، حتـى غضـب عليهـا يومـاً وَاستأصـلها بعـد أنْ عـرفَ مِـنْ فـلاحٍ أسـترالي محتـرف، أنَّـه إذا كـان الحصـى يصـبح ياقوتـاً، فـإنَّ النخلـة هـذه سـتثمر رطبـا. وَلا رَيْـبَ أَنَّ السَّـماويّ يحيـى - الَّـذِي نـزف مِـنْ روحـه وقلبـه الكثيـر ليمـنح الثقافـة مِـنْ ألـقِ الشـعر الرائـع والمحلـق فـي فضـاء الإنسـانية عبـر السـنين

بحسبِ الشاعر جعفر المهاجر - حين يذكر حادثة النخلة الأسترالية، فإنَّه يريد التعبير عَمَا يتصل بِهَا مِنْ مغزى عميق لَه دلالاته الرمزية الَّتِي عبرَ عَنهَا صراحة بقولِه : " أنا كالنخلة العراقية، لَنْ تصبحَ نخلة حقيقية، إلآ في أرضها - وَمَا اعتزامي شراء حفنة أمتار مربعة فِي مقبرةِ وادي السلام إلآ لأنني لا أريد أنْ أتوسّد غير أرض العراق حين يتحتم عليّ التدثر بلحافٍ مِن التراب "، وكان حينها قد عقد العزم عَلَى طيّ خيمته فِي آخر شبر مِن اليابسة، والشروع فِي نصبِها بفضاءٍ ولو صغير فِي جنتِه الأرضية - مدينة السَماوة - بإذنه تبارك وَتعالى، إلا أَنَّ ظرفاً قاهراً أفسدَ عَلَيه مَا كان - وَمَا يزال - يتمناه.

***

أنا جمري خرافيٌّ

ولكنْ

ناعمٌ كندى زهور اللوزِ في وادي المنى

شرَري

*

أنا بشرٌ

ولكني بعشقي لستُ مثلَ بقيَّةِ البشَرِ

*

نبذتُ الدربَ مألوفاً بلا خطرِ

*

فما البستانُ إنْ أضحى بلا شَجَرِ؟

*

وما معنى الرَّبابةِ حينما تغدو بلا وَتَر؟

*

تريدين الجوابَ عن السؤالِ الصعبِ
كيفَ مَلَكْتِني قلباً وأحداقاً وقافيةً؟
جوابي : صمتيَ الحجري !

***

لعلَّ المذهلَ فِي أمرِ السَّماويّ يحيى أَنَّه خلال وجوده فِي العراق كان يحلم بالمنفى، لَكنهُ حين وصلَ المنفى بقيَ لا يحلم إلاّ بالعراق، فهو القائل : " العراق وطني وَمنفاي فِي ذات الوقت ". وَتدعيما لِمَا ذكر، فإنَّ مَنْ يبحر فِي روائعِ ديوانه السادس " عيناك لي وطن ومنفى " يتلمس حقيقة وَصفه الَّذِي أعلنه أكثر مِنْ مرة فِي مواضعٍ وَمناسباتٍ عدة بقولِه : " قصائد الديوان تتحدث عَنْ وطنٍ هو جنتي وجحيمي معا ". وَبحسبِ الشَّاعِر السوري علي فرحان الدندح، فإنَّ الديوانَ المذكور آنفاً " يضمّ بقايا رماد حروف السَماويّ يحيى المكونة مِنْ ثلاثين قصيدة، تجمع بين الشعر العربي الموروث والحداثة، فالقصيدة عنده برزخ بين الأصالة والحداثة ". وَمِنْ هُنَا يمكن القول إنَّ المعاناةَ الهبت شاعرية السَّماويّ الَّذِي يتمتع بموهبةٍ شِعْريَّة وَ فَنِّيَّة فذة غنية بالإبْداعِ الجميل، فكانت دلالاتها واضحة فِي منجزِه الشِّعْري. وَلعَلَّ مِنْ بَيْنَ الأمثلة عَلَى مَا أشرنا إليه فِيمَا تقدم بخصوصِ قوةِ لغة السَماويّ الشِعْريَّة وَرقة إحساسه، هو مَا عبرت عَنه الشاعرة وَالروائية " الرقية " السورية فوزية المرعي بالقولِ " نشعر بالشموخِ كلما لاحَ اسم السَماويّ يومض فِي سماءِ الشِّعْر أو النقد، فهو شَّاعِر متجدد فِي طرحِ أفكارٍ جديدة فِي عالمِ الشِّعْر، وأكثر ما ألهب مشاعري فِي شعره ذاك المنهج الصوفي الذي رتله بطريقةٍ جديدة لم يسبقه إليها أحد مِنْ قبل فِي نمطٍ جديد ملفت للنظرِ ومطرب للنفسِ التوّاقة لكل تهجدات الشِّعْر، فلا يشعر عشاق الشِّعْر بالملل أو بالسأم حين يعبرون خمائل السَماوي الشعرية، بل تنتابهم اختلاجات قد لا يستطيعون نقل ايقاعها فِي أيّ تعبيرٍ مهما حاولوا وأنا واحدة منهم. حين أقرأ قصائده وخاصة الصوفية أحلق بعيداً عني، وأدخل فِي ملكوتِ

محرابه الإبداعي أتنسم رائحة البخور، وأميد علَى دق الدفوف، وأدور ..أدور.. وأحلق عالياً علني أقطف حبات مِنْ كرمِ إبداعه. يغشى عينيّ وهج القوافي، أرفع يدي للواهبِ بالدعاء : اللهم احفظ شاعرنا مِنْ كُلِّ مكروه، فهو أحد ملائكة الله عَلَى الأرضِ أرسله المولى وباركه بموهبةٍ قد لا تتكرر ". كذلك تشير الدكتورة مها عبد النبي إلى السَماويّ بعبارةٍ موجزة، لكنها بليغة فِي وصفِها بالقولِ " السَماوي مَعلَم ومُعلِم، يكتب بأنفاسِ رهطٍ مِنْ الشعراء عَلَى اختلافِ مشاربهم ".

أمسِ ـ انتصافَ الليلِ ـ جَفَّ دمي
وشَبَّ حريقُ شوقي
فاسْتغثتُ
بماءِ " زمزمِ " بئرِكِ الضوئيِّ في الوادي السحيقِ
مُيَمِّماً وجهي لِخِدرِكِ
لا دليلَ سِوى سَناكْ
*
مُتبتِّلاً حيناً وحيناً كافراً بالبُعدِ
بينَ الجذرِ في كهفي
وبينَ قطوفِ أغصاني الأثيرةِ في سَماكْ
*
فرشفتُ قبلَ دخوليَ الفردوسَ كأساً من زفيرِكِ
فانتشيتُ
وخِلتُني قبَّلتُ فاكْ
*
فسألتُ ربي أنْ يُزيدَ من الظلامِ
وكنتُ قابَ قميصِ نومِكِ من سريركِ ..

ربما أدنى ..
وأطبَقتُ الضلوعَ على الضلوعِ
ففرَّ ثغري نحو ثغركِ حاطِباً قُبَلاً
وفزّتْ مقلتاكْ

*

وانزاحَ عن ساقيكِ ثوبُكِ
فاسْتفزَّتْ بيْ مُجوناً رُكْبَتاكْ

*

أوشكتُ أنْ ..... !
فإذا بشيطاني يعودُ فتىً ملاكْ

*

حتى إذا نادى الأذانُ الى صلاةِ الفجرِ
أغواني نُعاسُكِ باقتطافِ التينِ والتفاحِ
من حقلِ الأنوثةِ
وارتشافِ ندى زهورِ اللوزِ خالَطَهُ شذاكْ

*

فدخلتُ واديكِ البعيدَ
وها أنا ثمِلٌ فما أدري
أأسْكَرَني رحيقُ الفُلِّ والريحانِ في حقلِ الأنوثةِ؟
أمْ نداكْ؟

***

فِي دراستِه الموسومة " يحيى السماوي الامتداد العضوي لفخامةِ القصيدة العمودية "، يشير الشَّاعِر العراقي عبد الستار نور علي المقيم فِي السويد، إلى " إن المتابع لشعرِ السماوي يجد عنده المحافظة الصارمة على شكل القصيدة العمودية بشروطها الفنية من خيال وعاطفة متأججة واسلوب راقٍ يحافظ على السلامة

اللغوية والجزالة اللفظية والفخامة التعبيرية والشكلية المعتمدة على الوزن والقافية واللغة السليمة الحريصة على النحو والصرف والبلاغة العالية التأثير. وللعلم فإن شاعرنا الكبير يكتب أيضاً شعراً حراً - شعر التفعيلة - مع المحافظة على الوزن والقافية والجزالة وقوة السبك والمبنى اللغوي ". وحول مَا يطرقه السَّماويّ يحيى مِنْ موضوعاتٍ فِي منظومتِه الشِعْريَّة يقول علي أيضاً " يتناول شاعرنا الكثير من الموضوعات بجمالية عالية التأثير من خلال خيال خصب ولغة جميلة جزلة فخمة الايقاع ووزن يتناسب مع المضمون. تناول الحنين الى الوطن، ومعاناة الغربة، مقارعة الاحتلال والفساد السياسي، الدفاع عن الوطن والأمة. ومن أجمل ما يمكن أن نقرأ له هو الغزل أيضا. ففي غزلياته نجده فتىً غِرّاً مليئاً بالعاطفة الحارة الملتهبة حد الرغبة الجامحة المندفعة. فلو لم نعرف أنه كهلٌ اشتعل رأسه شيباً لقلنا نحن أمام صبيٍّ فتنه العشق وسلبَ لبهُ الغرام وأشعلَ صدره الهيام فأهاج بلابله ". وَلا يسعني هُنَا إلا القول : بأنيّ استمتعت بقراءةِ تلك الدراسة المبهرة، وَالَّتِي أقطف مِنْها أيضاً بحدودِ البحث مَا نصه " الشاعر الكبير يحيى السماوي المواصل خط عالم وفن عمود الشعر، مع انه مجددٌ فيما يستخدم من مضمون وشكل يتسم كثيراً بالرقة في اختيار اللفظة، وبالحديث في تناول المضامين. وفي كل ذلك تسعفه موهبة فذة وشاعرية متألقة وثقافة تراثية غزيرة وتمكّن من اللغة كبير. وشعره واسع لا تكفيه هكذا عجالة في التناول ".

سألتني ربَّةُ الحانةِ والمحرابِ
والمشحوفِ والنهرِ الأنوثيِّ الذي شاربُهُ
يُبعَثُ حَيَّاً إنْ هَلَكْ :

كيفَ جِزتَ الأبحرَ .. الأنهرَ ..

والبيدَ الصحارى ..
أبساطُ الريحِ نحوي حَمَلَكْ ؟

أمْ هو الحُلمُ
وقد " شُبِّهَ لكْ " ؟

ولماذا جئتني في آخرِ العمرِ
لتغوي بتلتي المعصومةَ اللوز ؟
أجِبني : ما الذي أعنيهِ لكْ ؟

قلتُ :
يا مولاتيَ المائيَّةَ النيرانِ
أسرى بيْ الى فردوسِكِ العشقُ
وها قلبي على شرفةِ عينيك
فهل تأذنُ مولاتيْ فآوي
منزلَكْ ؟

أنا ـ يا سبحانَ مَنْ قبلَ وصولي قمَّة العمرِ ـ
بعينِي أنْزَلكْ

ضائعٌ من قبلِ أنْ أُولَدَ ..
حيٌّ وقتيلٌ ..
فعسى أنَّ الذي يعرفُ ما أُخفي
لأجلي أنزلّكْ

قِبلَةً للقلبِ
تُفضي بيْ الى شمسٍ تُضيءُ الدربَ
إنْ حاصَرَني ذئبُ الحُلَكْ

فأعادتْ قولها
من خلفِ شِقِّ البابِ ـ أو سِتِّ سماواتٍ :
أجِبني ما الذي أعنيهِ لكْ ؟

قلتُ :
شمسٌ وأنا من حولِها جُرمٌ " سماويٌّ " صغيرٌ
يا مَلَكْ

و" بُراقٌ " يعرفُ الدربَ الى الفردوسِ
لكنْ
من ضياءٍ لا كما باقي الفَلَكْ

فإذا صوتٌ كما الوحيُ
أتاني من وراءِ البابِ
نادانـي :
لِتدخلْ فأنا قد " هَيْتُ لكْ "

فاقتَطِفْ ما شئتَ من فاكهتي
واشربْ نميري واتَّخِذْني دون أنهارِ الغواني
منهَلَكْ

واحـتـرسْ
مـن غـضـبِ الـنـحـلـةِ
إنْ خـنـتَ شـذا وادي زهـورِ الـلـوزِ
واحـذرْ
إنَّ إيـنـانـا إذا جـزتَ مَـداهـا
تـمـسـكُ الـمـاءَ عـن الـحـقـلِ وتُـظـمـي جـدولَـكْ

***

الناقـد وَالمفكـر العراقـي البـارز الـدكتور حسـين سـرمك حسـن كشـف فِـي دراسـتِه الموسـومة " يحيـى السـماوي وفـن البسـاطة المربكـة "، أمـوراً مهمـة وَمثيـرة عَـنْ مَـا يجـول فِـي خـاطرِ الـبعض مِـنْ أنَّ السَّـماويّ يحيـى قـد كَتـبَ نصوصـاً شِـعْريَّة متـأثرة بـ " سـفر نشـيد الأناشـيد "، فضـلاً عَـنْ إثـراءِ سـرمك المشـهد الثقـافيّ بحقيقـةِ وأصـل تلـك الأناشـيد كمـا سـنرى فِـي السـطورِ التاليـة. وَفِـي هَـذَا السـياق يقـول سـرمك : " عنـدما تسـمع أنَّ الشـاعرَ يحيـى السَـماويّ قـد كَتـبَ نصوصـاً شِـعْريَّة متـأثرة بـ " سـفر نشـيد الأناشـيد، فإنـك سـوف تتسـاءل عَـن التـأثيراتِ الَّتِـي خضـعَ لهـا يحيـى فِـي كتابتـه لهـذه النصـوص؛ فهـو لـيس يهوديـاً، وَلَـمْ يترعـرع فـي بيئـةٍ تقـرأ الكتـاب المقـدس أو السـفر المعنـي، وَلا تحـتفظ مكتبـتهم العائليـة بنسـخةٍ مِنـه فِـي حـدودِ علمنـا. فهـو مسـلم مِـنْ مدينـةِ السَماوة وأبـوه الحـاج عبّـاس، نشـأ وترعـرع فِـي بيئـةٍ دينيـة محافظـة عَلَـى تقاليـدها وموروثهـا الـديني الإسـلامي، ولا تـوفر ثقافـة أبيـه الإسـلامية والمحـيط الَّـذِي نمـا فِيـه وتمسـك بطقوسِـه أيّ فرصـة لقـراءةِ الكتـاب المقـدس لأبنائِـه، فمـا بالـك بالعهـدِ العتيـق والأكثـر تمأزقـا، مَـا بالـك بسـفرِ نشـيد الإنشـاد بلغتـه المعقـدة وإيحاءاتـه الجنسـية والغزليـة. فهـذا الـنص لا يُمكـن أن يُعَـدّ نصـاً دينيـاً أبـداً، وقـد فشـلت كُـلّ محـاولات المرجعيـات الدينيـة اليهوديـة والمسـيحية فِـي تبريـرِ وجـوده فِـي العهـدِ العتيـق وترقيـع دلالاتـه الروحيـة والدينيـة، فهـو نـص حسّـي ملفّـق ولا علاقـة لـه بالآلهـةِ ولا بالأنبيـاءِ ولا بالعبـاداتِ ولا بـالطقوسِ التوراتيـة، بـل هـو ضـدها فِـي بعـضِ المواقـف

والإستعارات المأخوذة مِنْ شعوبٍ يسخط عليها " يهوه " ويذمها ويدعو أبناءه إلى الانعزالِ عَنها وَنبذها ". وَيستمر الناقد سرمك فِي بحثِه قائلاً " قد يعترض قارئ مقتدر بالقولِ إنَّ الكثيرَ مِن الشُّعراءِ يقرؤون مصادر معينة وَيتأثرون بِها. ثم هناك مخزون لاشعور الشَّاعِر الجمعي الَّذِي يتجاوز حدود الجغرافيا المَحَلِّيَّة وَيستند إلى رموزٍ ومكونات وتجارب مشتركة بَيْنَ جميع أبناء البشر. وأقول هذا صحيح .. ولكن أليس الأولى بشَّاعِرٍ عراقي مِنْ أهلِ السَماوة وهي تقع فِي دائرةِ حضارة سومر أنْ يحتفظ لا شعوره الجمعي بمخزونِ الحضارة الَّتِي نشأ وترعرع عَلَى أرضِها، وأحاطت بنشأتِه مؤثراتها وتفتحت ذائقته الثقافيَّة عَلَى منجزاتِها؟. وَهل سنصدم هَذَا القارئ المحق فِي تساؤلِه إذا قلنا إنَّ نشيدَ الأناشيد المكون مِنْ سبعِ صفحات مِن القطعِ الصغير، وحظى بتلالٍ مِن الكتبِ والبحوث والدراسات الَّتِي لم يحظَ بِمثلِها أيّ نص " ديني " قصير آخر، مأخوذ - بشهادةِ الكثير مِن الباحثين أو " مسروق " - مِنْ تراثِ سومر وتحديدا من " أناشيد الحب السومرية " وخصوصا أناشيد الزواج الإلهي على الرغم من أنني لأ أميل إلى تسميتها بتسمية " أناشيد " المتأخرة المأخوذة مِن التوراةِ وأفضّل تسميتها الأصلية : " قصائد أو نصوص أو غنائيات سومرية ". ويؤكد سرمك بأسلوبِ المقارنة أنْ لا صلة لنصوصِ يحيى عباس السماوي بسفرِ نشيد الأناشيد، لا من الناحية اللغوية ولا التصويرية ولا المضمونية ولا الجمالية؛ إذ أنَّ بنيةَ الصوتين المتحاورين " الحبيب والحبيبة " فِي نشيدِ الأناشيد غير موجودة - بحسبِه - فِي نصوص يحيى مطلقا، فالنصوص كلّها قائمة عَلَى الصوتِ الواحد " ضمير المتكلم "، وهذا حال الأغلبية المطلقة لقصائدِ السَماويّ يحيى عبر حياته الشعرية المديدة، وقد تكون نرجسيته الشِعْرِيَّة واحداً مِنْ أهمِ العوامل وراء هَذِه السمة الأسلوبية.

يا أنتِ

يـا مِـشـكـاتـيَ الـدُّريَّـةَ الأنـوارِ فـي لـيـلِ الـصَّـبـابـةِ
يـا أنـا
يـا كـوكـبـيْ الأرضـيَّ
يـا محـرابَ شِـعـري واعـتـكـافـي

يـا أوّل الـخـطـواتِ
فـي إسـراءِ قـلـبـي نـحـو فـردوسِ الـهـوى :
مـن أيـن يـدخـلُ حـقـلـنـا
ذئـبُ الـتـجـافـي ؟

نـحـن ابـتـكـرْنـا لـلـهـوى لـغـةَ الـمـودَّةِ والـتـبـتُّـلِ
والـتـصـافـي

الـغـصـنُ لا يـجـفـو الـجـذورَ
ولـيـسَ مـن طـبـعِ الـضـفـافِ

أنْ تـرتـدي ثـوبَ الـرَّحـيـلِ
إذا تـعـرّى الـنـهـرُ مـن أمـواجـهِ بـعـدَ الـجـفـافِ

عـلَّـمْـتِـني الـتـحـلـيـقَ مـا بـيـن الـطِـبـاقِ
وكـنـتِ مـن صـدري وأجـنـحـتـي الـقـوادمَ والـخَـوافـي

أكـمـلـتُ سِـتَّـاً فـي سـمـاواتِ الـطـوافِ
ولا يـزالُ الـقـلـبُ فـي بـدءِ الـطـوافِ

حيناً أسَبِّحُ مُستعيذاً بالقطوفِ الدّانياتِ
من الفيافي

وأفيضُ حيناً بالغناءِ على مقام اللثمِ
طفلاً يرتدي ثوباً
من الفرَحِ الخرافي

كفرَتْ بغيرِ ندى زهورِ اللوزِ
كاساتُ ارتشافي

وكفرْتِ إلآ بالوفاءِ
وبالعفافِ

متلازمانِ
كما المُضافُ إليهِ يُلزَمُ
بالمُضافِ

لولاكِ لم تعرفْ رغيفَ العشقِ مائدتي
ولا استعذبتُ قبلكِ متعةَ الإسراءِ من خمر الضَّياعِ
الى ينابيعِ السُّلافِ

وكتبتُ بالمحراثِ في تنُّورِ واديكِ
اعترافي:

شفتاكِ بستانانِ من شجَر البلاغةِ

والـقـوافـي

فـأنـا وأنـتِ الـصَّـخـرتـانِ
وعـشـقـنـا ـ لا الـسـفـحُ ـ ثـالـثـةُ الأثـافـي

***

مَـا أظننـي مبالغـاً إنْ قلـتُ إنَّ السَّـماويَّ يحيـى شَّـاعِرٌ سـامق، وَتربـويّ حـاذق، وَوطَنِـيّ أصـيل، وَإنْسَـانٌ ثـائرٌ عَلَـى الظلـمِ وَالظـلام، حملتـه صـلابته وعشـقه للحيـاةِ وَحبـه للجمـالِ مواجهـة الأهـوال، فقـد ركـب مـوجتي الأدب وَالسِّياسَـة مبكـراً مسـتعيناً بشِّـعْرِه المتميـز، وَفضـاء الصـحافة والإعـلام الَّـذِي تمـددت آفاقـه بشـكلٍ واسـع فِـي محطـاتِ الغربـة؛ لأجـلِ الإفصـاحِ عَـنْ معانـاةِ الـذات، فضـلاً عَمَـا يحملـه الشَّـاعِر السـومريّ المهـووس بعشـقِ فراتـي العـراق ونخيلـه مِـنْ هـمٍ إنسـانيّ مـرده إلـى معانـاةِ شـعبٍ جهـد سـواده الأعـم - وَمَـا يَـزال لليـومِ يجهـد - فِـي البحـثِ عَـنْ هويتـه الإنسـانيَّة المسـلوبة قصـد اسـتعادتها. وَتـدعيماً لِمَـا ذكـر حـول وَطنيـة السَماويّ يحيـى، مِـن المناسـبِ أنْ نشـير إلـى مَـا توصـلت إليـه الباحثـة السـعودية إنصـاف فيصـل الحسـني فِـي رسـالتها الموسـومة " شـعر يحيـى السـماوي بـين الرؤيـا والإبـداع " الَّتِـي نالـت بموجبهـا درجـة الماجسـتير فِـي الأدبِ والنقـد بتقـدير امتيـاز مِـنْ قسـمِ اللغـة العربيـة فِـي جامعـةِ أم القـرى؛ إذ سـجلت الباحثـة ضـمن نتـائج الدراسـة المـذكورة مَـا نَصـه " كـان السـماوي شـاعراً وطنيـاً مـن الطـراز الأول، وحتـى مـع تنـوّع رؤاه الشـعرية فإنهـا تـدور حـول نقطـة واحـدة هـي الـوطن، هـو يحبـه ويتغـزّل فيـه ويحـنّ إليـه ويشـخّص أدواءه، ويقتـرح علاجـات لهـا، ويسـتعرض مزايـاه ويهـاجم أعـداءه، ويبكـي ماضـيه وحاضـره ويأمـل فـي مسـتقبله، وقـد اسـتطاع الشـاعر بجـدارة أن يحـوّل حرقتـه وألمـه إلـى فـنٍّ موظَّـف فـي السياسـة فاسـتغلّ واقعـه وواقـع شـعبه المحاصـر لإدانـة النظـام الحـاكم بوجهـه السياسـي ". وَلعـلَّ المـذهلَ فِـي الأمـرِ أَنَّ السَّـماويّ يحيـى بالاسـتنادِ إلـى معطيـاتِ سـيرته الذاتيـة " عـاش الكهولـة فِـي صـباه وَالشـيخوخة فـي شـبابه "،

أمّـا الطُفولـة " فَلَـمْ يعشـها - بحسـبِه - كمـا ينبغـي للطُفولـة أنْ تُعـاش ". وَفِـي هَـذَا السـياق يقـول السَّـماويّ : " لأننـي لـم أعـش الطُفولـة فِـي الأمـسِ البعيـد، فقـد بـدأت أعيشـها فِـي حاضـريّ منـذ أنبـتَ لـي التبتّـل جنـاحين خـرافيين حلّقـا بـي وراء الأفـق والمـدى اللامتنـاهي، لأجـدني فـي معبـدِ إينانـا السـومريّ حينـا، وفِـي السـماء السادسـة حينـاً آخـر، فـلا شـيء أقـاوم بـه شـيخوخة المكـان والزمـان كالطفولـة ". وَمِمَـا هـو جـدير بالإشـارةِ أنَّ السَّـماويَّ دخـلَ معتـرك الإعـلام وَخـاض غمـار أمواجـه المتلاطمـة الصـاخبة، فعـزز فِـي نفسِـه بـوادر التمـرد وَالثـورة عَلَـى كُـلِ مَـا هـو منتسـب للقبح وَالظـلام، وَفِـي هَـذَا السـياق يقـول السَّـماويَّ يحيـى أو " شَّـاعِر النهـرين الَّـذِي اختبرتـه الأيـام، وَتوالـت عليـه المحـن " بحسـبِ الأدبيـة ذكـرى لعيبـي مَـا نصـه : " ... نفعنـي الإعـلام فِـي الانتقـالِ مِـنْ فضـاءِ الأحـلام إلـى صـخرِ الواقـع، أعنـي مِـن الرومانسـي الحـالم إلـى المنشـغلِ بهمـومِ المهمـومين ". وتـدعيماً لِمَـا ذكـر فـإن السَّـماويَّ عمـل محـرراً وَمسـؤولاً للقسـمِ السياسـي وَالأدبـي فِـي إذاعـةِ " صـوت الشـعب العراقـي " المعارضـة للنظـام الـديكتاتوري، وَقـد وظـف ذلـك فِـي قصـائدِه وَنصوصـه وَبرامجـه لتكـون أكثـر تعبيـراً عَـنْ المعانـاةِ الإنسـانيَّة وَلـيس عَـنْ همومِـه الذاتيـة، مَـعَ العـرضِ أنَّ المثقـفَ وَالأديـب وَالفنـان ملـزم بعـيشِ قضـايا وطنـه، وَعكـس معانـاة شـعبه، فـلا عجـب أنْ يكون نتاجَه قراءة لِهَمِ الشعب.

بـهـواكِ لا بـالـشـمـسِ والـقَـمَـرِ

شـعَّ الـضـحـى والـلـيـلُ في نـظـري

أعْـشَـبْـتِ صـحـرائي بـمـا حـلُـمَـتْ

نـفـسـي بِـنـهـر الـودِّ والـشَـجَـرِ

لُـغتـي ـ قُبَـيلَ هـواكِ ـ مُـبْـهَـمَـةً
كـانـتْ .. وطِـيـنـاً مُـهْـمَـلاً دُرَري

لَـكـأنَّـكِ الـفـردوسُ ... سـاكِـنُـهُ
يـحـيـا عـلـى مـا شـاءَ مِـن صُـوَرِ

مـا زاغ مـنـهـا نـحـوَ فـاحـشـةٍ
خـطـوٌ ولا سـارتْ عـلـى عَـثَـرِ

شَـبَّتْ عـلـى طُـهـرٍ فـحِـلْـيَـتُـهـا
ذَهَـبُ الـعـفـافِ وفِـضَّـةُ الـخَـفَـرِ

ولـهـا اسْـمـرارُ الـخـبـزِ أنْـضَـجَـهُ
ربُّ الـرغـيـفِ ومُـنـزِلُ الـمَـطـرِ

تُـرْجـى ولا تَـرجـو .. كـأنَّ بـهـا
فـي مَـغْـنَـمٍ عَـفٍّ عـن الـبَـشَـرِ

بـيـنـي وبـيـن زهـور روضـتـهـا
مـا بـيـنَ مِـحـرابٍ ومُـعْـتَـمِـرِ

بَـلـغَتْ مـكانَ الـضـوءِ مـن مُـقَـلـي

وبَـلـغْـتُ مـنـهـا غـايـةَ الـسَّـفَـرِ

يَـهـمـي عـلـى أعـنـابِ واحـتِـهـا

مَـطـري فَـيُـعـشِـبُ لـذّةً وطَـري

***

الأديـب حـافظ محفـوظ المقـيم فِـي لنـدن كتـب دراسـة عَـنْ ديـوانِ السَـماويّ يحيـى الثالـث عشـر، وَالفـائز بـ " جـائزةِ البـابطين لأفضـل ديـوان شِّـعْر " الموسـوم " نقـوش علـى جـذع نخلـة "، وَنشـرها فِـي مجلـةِ " الحـوادث اللندنيـة "، وِمِـنْ بَـيْن مَـا سـجله محفـوظ نقتطـف مَـا نصـه " فـي كـل قصـائد الـديوان، يتفجـر يحيـى السـماوي وطنيـة صـادقة وغضـباً مقدسـاَ علـى الظـالمين وتجسـيدا حيـاً للمظـالمِ والمجـازر البشـعة التـي شـهدتها المـدن العراقيـة، والتـي ينـدى لهـا جبـين الإنسـانية خجـلاً. وقـد عبّـر الشـاعر يحيـى السـماوي عـن معاناتـه بشـعرٍ راقٍ وموهبـة متألقـة ومشـاعر عفويـة ورؤيـة عميقـة صـادقة لواقـعِ وطنـه الـذبيح وحمّامـات الـدم اليوميـة التـي تغسـل أرض العـراق الطـاهرة ". كـذلك أشـار محفـوظ فِـي موضـعٍ آخـر مِـن الدراسـةِ قـائلاً " الـديوان الـذي تمتـاز قصـائده كلهـا ببهـاءِ الشـكل والمضـمون وشـفافية البـوح وعمـق الجـرح الـوطني والقـومي والإنسـاني، لا يخلـو مـن زوايـا خاصـة بالقلـبِ العاشـق والصـائم علـى بـاب الهـوى، كمـا فـي - صـوتك مزمـاري، خـذي بـأمري وإغنمينـي - وسـواها مـن القصـائد، يقـرع يحيـى السـماوي نـاقوس العاطفـة بيـد رقيقـة وعيـون دامعـة ومشـاعر نبيلـة وعشـق راقٍ، وغربـة عـن الـوطن والأحبـة، لعلـه يعـود ذات يـوم إلـى العـراق حـين يصـبح معـافى، ليقضـي فيـه بقيـة عمـره، ويتحفنـا بمزيـد مـن إبداعاتـه الغنيـة المضـاءة بـوهج موهبتـه المتدفقـة كالينـابيع ". وَفـي السـياق ذاتـه نعـود ثانيـة إلـى الشَّـاعِر السـوري علـي فرحـان

الدندح؛ لأجلِ تصفح دراستِه الموسومة " الوطن في غربة الشاعر العراقي يحيى السماوي "، وَالَّتِي يذكر فِي متنها مَا نصه " الشاعر السماوي يحاول من خلال أشعاره في غربته أن يقدم شعراً معارضا للديكتاتورية مقاوما للاحتلال، يقوم على غنائية محببة، ونظم عمودي وتفعيلي بعيد عن الخطابية، مثلما هو بعيد عن تقليد شعراء النخبة. وهو من خلال ذلك يريد العودة بالشعرِ إلى عفويته الأولى عبر وضوحٍ وسهولةٍ تعيدان الاتصال بين الشعر والشعب، فشعراء المقاومة كثُر، أمثال لويس أراغون وبول إيلوار وخير الدين الزركلي، هؤلاء الذين أججوا روح الثورة لدى شعوبهم وأعطى كل واحد منهم أروع ما عنده في الحب الغنائي. والسماوي واحد من هؤلاء، بل تماهى في ذلك حتى غدت المرأة عنده هي الوطن، والوطن يطل من عيني المعشوقة، هو شاعر الحب، شاعر اليدين الممدودتين إلى الوطن؛ لأنهما إذ تحتضنان الوطن إنما تحتضنان ذات الشاعر التي ذابت متماهية بذات الجماعة ... وهكذا نرى أنّ الكلمات لدى الشاعر العراقي الكبير يحيى السماوي، مؤثرة بما تحمل من شحناتٍ شعورية قوية، فهي تهز الوجدان، وتُشعر الروح بالطمأنينة ". وَيضيف الدندح قائلاً " لا يخفى أنّ ليلى المحبوبة لدى الشاعر هي الوطن الأم " العراق " الذي يهيم به كما هام المجنون بليلاه .. ومع أنه ابتعد عن وطنه مرغماً وحاول أن يُغيّبِ صورة وطنه التي تبعث في نفسه الألم والحسرة، إلآ أنها كانت تتسرب إلى روحه ، وتحتل قلبه ". وَيختم الباحث مباحث دراسته هَذِه بالحديثِ عَنْ قوةِ شاعرية السَماوي يحيى ورؤيته إلى القصيدةِ بالقول " يبدو جلياً كمبدع، تمكنه من انتقاء كلماته ونظمها في نسق موحٍ، فالقصيدة في مفهومه، ليست صورة فوتوغرافية للعالم كما هو كائن ننشرها في صحيفة أو كتاب، بل هي صورة لما يجب أن يكون عليه العالم، صورة يبدعها الشاعر مستعيناً بالبيان عبر محاولة لتجديده وإحياء ما انطفأ منه ". وَيخلص الدندح فِي ورقته البحثية إلى " إنَّ شعرَ يحيى السماوي يشكل إضافة جديدة

للشعر العربي المعاصر، تنير للأجيال دروب حلّ المعادلة الصعبة بين الاستسلام لتقليد الوافد الجديد أو الركون إلى سحر التراث ".

***

تَعِبَ الهوى مِمّا نُحَمِّلُهُ
ما لا يُطيقُ السُّهْدُ من سَهَرِ

يَمَّمْتُ قلبي يومَ مولِدِها
فَوُلِدْتُ طِفلَ العِشقِ في كِبَري

حُبٌّ ـ ولا مِثلٌ ـ سَمَوتُ بهِ
بين الثرى والأنجُمِ الزُّهُرِ

هامَتْ بما أُخفي وهِمْتُ بما
جَهَرَتْ بماءِ عفافِها الخَصِرِ

وحدي بها والعشقُ ثالِثُنا
نَسْتافُ طِيبَ المُزهِرِ النَّضِرِ

مَلَّكْتُها أمرَ الأسيرِ سعى
للأسْرِ سعيَ العزمِ للظَفَرِ

لـيْ بَـيْدَرٌ .. لـولا سَـنـابـلُـهـا
مـا كـان ذا حَـصْـدٍ لِـمُـنـتَـظِـرِ

مَحَضَتْ كؤوسي خَـمْـرَ كُـرمَـتِـهـا
ومَـحَـضْـتُ حَـقـلَ وفـائِـهـا غُـدُري

يـومـي بـهـا جِـيـلانِ مِـن فَـرَحٍ
بـعـضُ الـهـوى مـن رِزقِ مُـقـتـدرِ

تـا لـلـهِ لا مـعـنـىً لِـمُـبْـتَـدَئـي
إلآ وسِـفْـرُ هُـيـامِـهـا خَـبَـري

لقـد قُـدِّر للسَـماويّ يحيـى أنْ يعـيشَ محنـة اغتـراب مريـرة، بعـد أنْ رحـلَ عَـنْ وطنِـه، مخلفـاً وراءه أحبـة وَذكريـات طُفولـة وَشـقاوة صـبى، وَحـاملاً فِـي ذاتِـه معاناتـه الَّتِـي ألجأتـه إلـى الاغتـرابِ عَـنْ ذويـه وَعـذب فـرات سَـماوتِه وَفَـيْء نخليهـا الَّـذِي لا يظـن أنَّـه سـوف يـرى مثلـه فِـي غيـرِ مدينتـه أو جنتـه الأرضـية مثلمَـا يشـير إليهـا بشـكلٍ دائـم مِـنْ منفَـاه القسـريّ، فضـلاً عَمَـا اسـتجد مْـنْ ألـمٍ وَمعانـاة فِـي بلـدانِ المهجـر؛ إذ لـيس هنـاك مَـا هـو أشـد مـرارة عَلَـى المـرءِ مِـنْ تـركِ وطنـه وَمسـقط رأسـه مكرهـاً، فـلا غـرو أنْ يعكـس عشـقه وطنـه بمـدادٍ يرسـم مِـنْ خلالِـه لوحـاتٍ بارعـة التشـكيل، أنيقـة ألـوان الوجـد، محكمـة ظـلال الرُؤْيَـة؛ لأنَّ مفـرداتِ شـعره تخـرج صـافية مِـنْ أعمـاقِ قلـبٍ جُبِـل

صاحبه عَلَى حبِ وطنه، حيث يمكن الجزم بأنَّ مدحَ السَماويّ يحيى وطنه بالمعبرِ والجميل مِنْ القريضِ، وتخليده مآثر شعبه وَأمجاده بقصائدَ شعريةٍ طافحة بألحانٍ وإيقاعات وجدانية فِيها عذوبة وَحلاوة، إلى جانبِ اعتماده مَا ينتمي إلى مدرسةِ " السهل الممتنع "، وَالَّذِي ساهم فِي بلوغِه عتبةً عالية مِنْ الشاعريةِ وَالعمق وَالبلاغة اللغوية، يعبر فِي مجمله عَنْ الإحساسِ بالانتماءِ للوطن. وَهي مناسبة لتذكيرِ الأدباءِ وَالكتاب وَالفنانين وَغيرهم مِن النخبِ الثقافيَّة حول ضرورةِ الشروع بإِنْتَاجِ أعمالٍ ثقافيَّة وَفَنِّيَّة بوسعِ مضامينها المُسَاهَمَة فِي تعزيزِ الثَّقَافَة الوَطَنيّة وَترسيخِ قيم التماسك الاجْتِمَاعِيّ، بالإضافةِ إلى استحضارِ كُلِّ مَا مِنْ شأنِه المعاونة فِي تعزيزِ اللحمة الوَطَنيّة، وَغرس مشاعر الألفة وَالولاء وَالانتماء الوَطَنِيّ فِي نفوسِ النشء الجديد. وَلا نبعد عَنْ الصَوَابِ إذا قُلْنَا إنَّ نتاج السَماويّ خلد حب الوطن فِي الكثيرِ مِنْ قصائده، ولعلَّ مِنْ بَيْنَ الدراسات الأكاديمية الكثيرة الَّتِي تناولت هذه الجزئية المهمة، هي دراسة الباحثة العراقية هدى مصطفى طالب الأمين لنيل شهادة الماجستير الموسومة " البنية الدرامية في شعر يحيى السَماويّ "، وَالَّتِي مِنْ بَيْنَ نتائجها الأربعة عشر، مَا يعزز بحثنا فِي هَذِه الفقرة بالذات، حيث خلصت الأمين فِي إحدى النتائج المتحصلة مِنْ دراستها المذكورة آنفاً إلى مَا نصه " يتضح الصراع الخارجي في إشكاليته مع الاحتلال والسلطة الحاكمة وضياع الوطن والشباب، ومما يلفت الانتباه إن الوطن يمكن أن يكون محور الصراعين الداخلي والخارجي، حيث تتصل المرأة اتصالاً وثيقاً بالوطن ويصعب الفصل بينهما، وكذلك نجد التماهي بين المرأة والوطن، ويمكن أن نعده مظهراً من مظاهر الصراع الخارجي، حيث يرفض الاحتلال أو ضياعه على أيدي الحكام المستبدين، فضلاً عن ذلك يجسد الشاعر الصراعين - الداخلي والخارجي - وذلك من خلال تقنية المفارقة والمونتاج ". ولعلّ مِن المناسبِ أنْ أشير هُنَا إلى مَا سجلته الأمين فِي مقدمة رسالتها آنفاً، وَالَّتِي جاء فِيها تالياً " إنَ للشاعر العراقي يحيى السماوي مكانة متميزة في الحياة الثقافية

العربيـة المعاصـرة، حيـث يتمتـع هـذا الشـاعر بـذكاء وحـذق شـعريين مكنـاه مـن النهـوض ببنيـة قصـيدته إلـى درجـة عاليـة مـن الفنيـة والتميـز، إذ مكنتـه مواهبـه المتعـددة فـي كتابـة - الـدراما - مـن أن ينجـز نكهـة خاصـة امتـاز بهـا عملـه دائمـاً، ولاسـيما أن معظـم أعمالـه جـاءت نتيجـة لهـذا المسـعى المحفـوف بالمخـاطر الإبداعيـة بـين همـوم الحيـاة وطمـوح الكتابـة، للارتقـاء باللغـة العربيـة وإن كـان شـكلياً إلـى مجـاراة العصـر، وقـد مكنـه ذلـك مـن أن يقـدم نفسـه للقـارئ بوصـفه شـاعراً مجـدداً وعلـى أكثـر مـن صـعيد " وتضـيف الأمـين أيضـاً مَـا نصـه " تكتنـز نصـوص يحيـى السـماوي عناصـر الـدراما نتيجـة لامتلاكـه هـذه الرؤيـة المركبـة فـي الشـعر والـدراما، ممـا يطبـع نصوصـه بطـابع خـاص فيـه الكثيـر مـن المميـزات المسـتقلة المشـبعة بالدراما ".

بُـلِـيْـتُ بمُـسـتـلـذَّاتِ الـلـيـالـي

فكـنـتُ ضـحِـيَّـتـي .. فـأنـا وَبـالـي

*

وأغـوانـي الـشـبـابُ .. فـلـيـتَ أنـي

قـفـزتُ مـن الـشـبـابِ الـى اكـتـهـالِ

*

تـحَـرِّضـنـي خـطـايَ عـلـى دروبٍ

تُـقـايـضـنـي الـحـجـارةَ بـالـلآلـي

*

لَـهَـوْتُ عـن الـصـبـاحِ بـأنـسِ لـيـلٍ

وبـالـكـأسِ الـسَّـرابِ عـن الـزلالِ

***

الشَّاعِرُ وَالناقد وَالروائي الراحل الدكتور غازي القصيبي " طيب الله ثراه "، ضمن كتابه النقدي " صوت من الخليج "، دراسة قيمة عَنْ شاعريةِ السَماويّ يحيى وَسمها بـ " يحيى السماوي هذا الطائر الجريح المغرد ". ولأهميةِ هَذِه الدراسة، أجدني بعد أنْ استسلمت لدموعي شغوفاً للفتتِ انتباه القارئ الكريم بمضمونها وَكما مبين تالياً " منذ سنين طويلة، وأحسبني كنت في المدرسة الثانوية وقتها، قرأت في كتاب مثير من كتب الناقد الساخر مارون عبود عبارة مثيرة نسبها إلى أديب فرنسي شهير. سقط أسم الكتاب، وإسم الأديب الفرنسي، من ثقوب الذاكرة وبقيت العبارة " الشعراء الكبار نادرون، بل انهم أندر من العلماء الكبار "، وصف " الكبار" يخيفني، فالشاعر قد يكون كبيراً في الحجم، ولا مبرر للأمثلة!، وقد يكون كبير المقام، والأمثلة كثيرة. كما أن تعريف " الشعراء " قد يكون محل أخذ ورد، وبالتعريف الواسع، لا توجد ندرة في الشعراء بين العرب. مؤخرا، أعلن القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية عن مسابقة للشعر فتقدم اليها مئات الشعراء من أقصى الوطن العربي الى أقصاه. وعدد الأمسيات الشعرية في الأمة العربية لا يكاد يعادله إلا عدد المؤامرات على هذه الأمة. فلنعدل إذن عبارة صاحبنا الفرنسي الذي ضاع إسمه ولنقل : أن " الشعر الحقيقي نادر ". من هنا يجيء فرحي كمتذوق يتوهم انه يستطيع التفرقة عفويا بين النظم والشعر إذا إلتقيت ببيت رائع، أو مقطع مؤثر، أو قصيدة نابضة. ومن هنا يجيء حرصي على أن يشاركني الفرح أكبر عدد ممكن من الناس. إليك إذن أيها القارئ العزيز باقة من الشعر، الشعر الحقيقي النادر، من بستان الشاعر العراقي يحيى السماوي. أنظر كيف تتفجر الغربة شعراً في قوله :

أكاد حتى رفات الميت أحسده

غداة يملك أرض القبر في بلدي

وقوله :

وطني؟! يُقال بأن لي وطناً فما

أبصرته.. إلا وقيدي في يـــدي

وأراه أحيانا ينام كطعنـــةٍ

فوق الخرائط.. أو بصوتِ المنشد

قـال أبـو سـهيل : اذهـب أيهـا السـماوي فلـم يسـبقك إلـى " طعنـة فـوق الخـرائط " أحـدا!. وأسـمع خـوف الشـاعر إذا عـاد إلـى وطنـه فـي يـوم لا ريب فيه، بإذن الله، فلم يعرفه أحد :

أتعرف عاشقا قد كان طفلاً غداة مضى.. وجاء به المـشيبُ؟!

غداً آتي.. فلا شفة تغني مواويلي.. وتنكرني الــدروبُ

وتطفـأ ضحكة كحفيف زهرٍ ويومـئُ نـازل " هذا غريــبُ "!

وفــي الغربــة يقـدم الشــاعر النــازح أروع التحيــةِ الــى الــوطن المعطــاء الذي أستضافه شقيقا قريبا من شغاف القلب.

يقول عن مكة المكرمة :

حجَت لها قبل الأنام سماؤها بحجيج ســجيل على سُلابهــا

أرض تكاد لفرط عزة رملهـا يروي عطاشى الماء وهِجُ سرابها

قـال أبـو سـهيل : ولـم يسـبقك أحـد مـن شـعراء أم القـرى ولا مـن حولهـا في "حجيج السَجيل "

ويقول عن أبها الحسناء :

نسلت من الشجر الوريق ضفيرة ومن الجبال الشاهقات ســريرا

ومــن النجوم قلادة بدويــة ومن الغيوم الطيبات بخـــورا

قال أبو سهيل : لا يُقدر الشطر الأول من البيت الأول قدره إلا أهل الخليج الذين يتحدثون، حتى بلغتهم العامية، عن فتاة "تنسل شعرها".

ماذا عن قلب العاشق في الغربة؟!

يدعي شاعرنا أنه لا يستطيع أن يحب إمرأة ما دام بعيدا عن وطنه، وأنه سيؤجل الحب حتى العودة :

لو كان لي بيتي ولي وطني لم أتخذ غير الهوى نسبا

إلا أن إدعاء الشاعر يذكرنا بتصريح الأخطل الصغير :

كذب الواشي وخاب من رأى الشاعر تاب ؟!

وصدق الأخطل الصغير !

هذا هو شاعرنا ينظر إلى إبنة العشرين متحسراً :

وأوَاه كم يؤلم هذا الشجن هنا :

قد اعتنقتِ من الدنيا مباهجها اما أنا فهموم الناس أعتنقُ

لقد شربتُ.. ولكن لا كما شربوا وقد عشقتُ.. ولكن لا كما عشقوا

وهنا :

فإذا إقتلعت الرمح من جسدي غرس الأسى رمحين..والوطن

أفكلما نفّضت مركبتي ..... نفضت عليَّ جراحها المُدُن ؟!

وبعد :

تحية شكر عميق للأديب الصديق عبد المقصود خوجه الذي نشر للشاعر مجموعة " قلبي على وطني ". وتحية شكر عميق لنادي أبها الأدبي الذي نشر مجموعة الشاعر الأخرى " من أغاني المشرَد ".

أما أنت أيها الطائر الجريح فقد أوشكت عيني تدمع وأنا أقرأ :

غداً إذا غفوتَ...من يا ترى يسقي حقول الورد من بعدي ؟!

لا أدري يا أخي...

لا أدري !

جرّبتِ عاج الموسرين..فجربـي طين الفقير.. وإن جفاه بريـقُ

أغويتني بالحسن.. وهو طريدتي فطرقتُ.. لكن صدني المطروق

فرقتِ ما بيني وبيني فاجمـعي بعضي إليَّ.. أضرني التفـريق

قال أبو سهيل : لا يلومن كهل أحب إبنة العشرين إلا نفسه !

وإليك هذا المشهد الطريف في الطائرة :

كشفت لترشف قهوة فإذا الدجى صبحُ طري الضوء غض المنهل

وجه يفيض عليه نهرُ أنوثـة ونسيمُ غاباتٍ.. وشقرة سـنبل

صرخ شاعرنا في المضيف :

بالله يا هذا المضيف.. لحظـة ! زدني ! ولا تبخل علي فأجمـل !

لا لن أخضَ يدي سأشرب "دلة" إن كنت في فنجانها ستصب لـي

لا أدري مـا فعـل المضـيف، ولا مـا فعلـت " الدلـة " ولكنـي أعـرف أن هـذه الأبيـات تكـاد تكـون الابتسـامة الوحيـدة فـي " ليـل الشـجن " كمـا يقول شاعرنا محمد الفهد العيسى.

تـرى لـو أمـد الله تعـالى بعمـرِ القصـيبي، فمـاذا سـيكتب لـو قـدّر لـه أنْ يقرأ بوح السَماويّ فِي سداسيته التالية ؟:

يـا مَـنْ لُـمـاهُ قـرَنْـفُـلٌ وخُـزامـى

أنــا مــا طــلــبْــتُ سُــلافــةً ومُــدامــا

قد جـئـتُ أسـتجدي زفـيـرَكَ لا طِـلاً

وعـصـيـرَ أعــنــابٍ تـعَـتَّـقَ عـامـا

أدمــنــتُ فـيـكَ تــبــتُّــلاً فـأنــا امــرؤٌ

عَـفٌّ ... ومــثــلــكَ أنــبــذُ الآثــامــا

إنْ كـانـتِ الـقُـبُـلاتُ تـُفـطِـرُ صـائـمــاً

أو كـانَ رشــفُ نـدى الـشـفـاهِ حَـرامـا

فهلِ الـعنـاقُ ضُحىً سَـيُفسِدُ مُـمْسِكـاً

مـا ذاقَ مـن بـعـدِ الـسحـورِ طـعـامـا ؟

فـتـوايَ : شَـمُّ الـوردِ لـيسَ بِـمُـبـطِـلٍ

فـي شـرعِ عشّـاقِ الـورودِ صِـيـامـا

فِـي عـامِ 2008م، صـدر عَـنْ مؤسسـةِ اليمامـة الصـحفية كتـاب الشـاعرة وَالناقـدة السـعودية الـدكتورة فاطمـة القرنـي الموسـوم " الشـعر العراقـي فـي المنفـى... السماوي أنموذجا "، مَـعَ العـرضِ أنَّ أصـل هَـذَا الكتـاب الَّـذِي يقـع فـي أكثـر مِـنْ ثلاثمائـةِ صـفحة هـو بحـث أكـاديمي لنيـل درجـة الأسـتاذية فِـي النقـدِ الأدبـي. وحسـبنَا مَـا سـجلته القرنـي عَلَـى غـلافِ كتابهـا، وَالَّـذِي نصـه " لا شـك فـي أن الإبـداع

كممارسة محصّلة لحال من الإنتفاء اللاإرادي للذات المبدعة.. حال تتجرد فيها تلك الذات من كل موجودات المحيط المُحاصِر لها أحياءً وأشياءً على السواء، لا لتتنكر لتلك الموجودات المُشَكِّلة لكيانها هي أصلاً، وإنما لتحقق نوعا من أنواع الإخلاص في النظر إليها وتأملها واستنطاقها للبوح بما هو أصدق وأغنى في التعبير عن كل أطراف المخاض الإبداعي - الأنا... والآخر القريب والبعيد... والقول الشعري نفسه - تعبيرا مجسّداً لأحد ملامحها جميعا... موضوعاً ومكاناً، وزماناً كذلك.. وإذا ما قُدِّر لمبدع ما أن يكابد أزمة محتدمة كهذه في حميم نفي خارجي قسري من سلطة غاشمة أو نظام ظالم - كما هي حال يحيى السماوي - فإن إنسانية التجربة.. تجاوزها.. ولا نهائيتها ستسفر عن غنىً إبداعي موّار لا سقف لامتداد أبعاده، ولا قاع يمكن تصوره لوقدها المحفِّز لإنسان هذه الأرض.. وهذه الدراسة تتلمس طريقها مخلصة لتحسس التنويعات التي انبنت عليها تقاسيم صوت السماوي.. نافياً.. منفياً.. مفتوناً بالعراق ومُفتتناً عنه.. مستعيداً ومُشكِّلاً من خلال المرأة، من منفاه وبمنفاه تفاصيل الوطن - النموذج - الحلم البهيّ الذي لم يفلح رغد البدائل - وما أكثرها - في تسكين جذوته أو ترميد ألقه ".

أرَضَعتِ من مُقلِ الزهور عطورا ؟

أمْ كان مهدُكِ يا بتولُ زهورا ؟

أثمَلتِني برحيقِ صوتِكِ فانتشتْ

روحٌ تنفّسَتِ الدخانَ دُهورا

أمسَيْتُ ممسوساً وكنتُ عَهِدتُني

جَلِـداً علـى أمـرِ الـهـيـامِ صَبورا

لا تـحـذري نـاري فـإنّ أضـالـعـي
حَـطـبي ولـسـتُ بـمَـنْ يخونُ ضَـميرا

أدريـكِ طـاهـرةً .. وحـسـبـي أنـنـي
عـاهـدتُ ربـي أنْ أمـوتَ طـهـورا

فـتـدَبَّـري أمْـرَ الـغـريـبِ فـإنـهُ
طـفـلُ الـمـنى لا يـحـسِـنُ الـتـدبـيـرا

****

دراستان كتبت فصولهما مَا بَيْنَ تونس وبغداد، قاسمهما المشترك مثابرة السَماويّ يحيى وَحبه وطنه وَحضوره فِي وجدانِ المتلقي، هو أحدث مَا اطلعت عَلَيه عَنْ تجربته الشعرية، أولهما دراسة الكاتب وَالباحث التونسي د . محسن العوني الموسومة " الوطن منشوداً وموجوداً في شعر يحيى السماوي "، وَالَّتِي بدأها بمقدمةٍ عَنْ ثلاثيةِ الوطن، الإنسان والحلم قائلاً " الوطن بلا إنسان لا يعدو أن يكون قطعة أرض تحت سماء، أو دُونَمَا سماء؛ ذلك أنّ العلاقة والحميميّة والذاكرة هي التي تصنع الوطن وتنشئ الارتباط، إذا انقطع الحلم وَقَعْنَا في العَدَم، والإنسان مدعو إلى أن يبقى طول حياته وحتى آخر لحظة بحالة حُلْمٍ أو على قيد الحلم. الحُلْمُ هو الحقيقة التي ستأتي، إن لم يكن هنا فَهُنَاكَ، وإن لم يكن في هذه ففي تلك. أَحْلاَمٌ تَتَحَقَقُ وأُخرى تسقطُ وتُسْتبدل بغيرها، ويبقى الحُلْمُ ". ولأجلِ تفصيل غاية بحثه بحدودِ مشكلة البحث ينتقل العوني إلى

الغـوصِ فِـي تجربـةِ السَـماوي الشـعرية، وَالَّتِـي نقتطـف مِنهـا الـنص التـالي " المدوّنـة الشّـعريّة للشـاعر العربـي الكبيـر يحيـى السّـماوي تُؤكّـد هـذا التوجّـه وتُزكّـي هـذه القـراءة، فقـد ظـلّ الـوطن لديـه حُلْمًـا مـاثِلاً فـي مخيّلتـه أكثـر مِمَّـا هـو حقيقـة علـى الأرض وواقعًـا، صـرْخَتُهُ المُدويُّـة المُوجعَـة فـي قصـيدته - لا تـذبحوا حبيبنـا العـراق - لا تُفهَـمُ إلاّ علـى هـذا الأسـاس، العـراق مَنْشُـودًا ومَـأمُولاً، العـراق الحلـم.. لا العـراق الواقـع ". وَيسـجل العـوني فِـي ثنايـا دراسـته مَـا يسـاهم فِـي توضـيحِ ثيمـة البحـث بالاسـتناد إلـى أدلـةٍ واضـحة، مسـتعيناً بمنتخبـاتٍ مِـنْ أبجديـة السَـماويّ يحيـى حيـال بعـض مَـا مضـى مِـنْ وقـائع، وَالَّـذِي اخترنـا مِنـه قولـه " إنّ الـدارسَ لأعمـال الشّـاعر يحيـى السـماوي لا بـدّ وأن يتوقـف عنـد ظـاهرة لافتـة وهـي كثـرة الـدّواوين التـي خـصّ بهـا وطنـه العـراق بشـكل مباشـر، بقطـع النظـر عـن الجـوائز التـي اسـتحقها الشـاعر بجـدارة لقـاء بعـض أعمالـه الشـعريّة، فـإنّ جائزتـه الحقيقيّـة الكبـرى وتتويجـه هـي إقبـال القـرّاء والبـاحثين والدّارسـين علـى أعمالـه وهـذا الاحتفـاء الـذي يقابـل بـه حيثمـا حـلّ والحالـة الوجدانيّـة التـي أنشـأها وجعلـت القلـوب والعقـول والعيـون تّتجـه نحـو العـراق وتتعـاطف معـه بفعـل الحـبّ الـذي زرعتـه نُصُوصـه وحوّلتـه إلـى رمـز مـن رمـوز بـلاد الرافـدين تمامـا كالنّخـل والجنـائن المعلّقـة ". وقـد خـتم البـاحـث مبحثـه الأول بحسـبِ منهجيـة البحـث المعتـادة بعبـارة بليغـة وَمعبـرة، يقـول فِيهـا " شـعر يحيـى السـماوي قـلادة علـى صـدر العـراق، لـم تصـنعها أكبـر دور المجـوهرات فـي العـالم، ولا يمكنهـا أن تفعـل؛ إنّهـا قـلادة حـبّ وجمـال وولاء وفـداء.. وهنيئـاً للعـراق ". أمـا الأخـرى، فهـي دراسـة نقديـة عَـنْ ديـوانِ السَـماويّ يحيـى " حديقـة مـن زهـور الكلمـات " الَّتِـي كتبهـا الناقـد العراقـي احمـد فاضـل وَوسـمها بـ " جولـة فـي حديقـة شـاعر ". وقـد تطرقـت هـذه الدراسـة إلـى جملـةٍ مِـن السـماتِ الَّتِـي سـاهمت فِـي تشـكيلِ خصوصـية تجربـة السَـماويّ الشـعرية باسـتعراض العديـد مِـنْ المواضـيعِ الَّتِـي نـذكر مِنهـا هُنَـا ثلاثـة إضـاءات، أولهـا اهتمامـه بـالموروث الشـعبي الَّـذِي يشـير إليـه فاضـل بـالقول " السَـماويّ بشـهادة جمهـرة واسـعة مـن النقـاد، يعتبـر الأكثـر

ثــراءً فــي توظيــف الفولكلــور الشــعبي باســتخدامه لأبجديــة حروفــه الأقـرب للمتلقــي مـن حيـث التـأثير، سـاعدته فـي ذلـك سـعة اطلاعـه علـى مراجـع أدبيـة كثيـرة بحكـم دراسـته فـي الجامعـة وقراءاتـه العديـدة للملاحـم الشـعرية العربيــة والفارسـية القديمــة ". وثانيهـا أنَّ السَـماويَّ يُعَـدّ أكثـر شـعراء عصـره المحـدثين إنجـازاً وأكثـرهم قـراءة، وكمـا يقـول فاضـل " لـم تخـلُ نصوصـه مـن العاطفـة والوجـدان، الأسـطورة والرمـز، الظـواهر الحياتيـة والـدين، والثيوصـوفي المتصـل بـأحوال الصــوفية، فممارســاته العديــدة فــي كتابــة نــص مبتكــر جعلــت مــن قصـائده تعـيش أجـواءً متحركـة غيـر جامـدة "، فِيمـا يشـكل السـهل الممتنـع ثالـث أغـراض الدراسـة، حيـث يشـير فاضـل إلـى ذلـك بـالقول " السَـماويّ يـدرك المعـاني الممكنـة لكلمـات قصـائده فيضـع لهـا قواعـدها لتأخذ أبعاداً حقيقية ممزوجة بخيالية سحرية ورمزية غير معقدة "

***

ماذا أريـدُ ؟ سَلي نـميـرَكِ مـا الذي
يـرجـوهُ عشـبٌ لا يـطـيـقُ سَـعـيـرا

وسَـلي قطوفـكِ صبحَ وجـهِـكِ واسألي
لـيـلاً يـتـيـمَ الـنـجـمِ شَـلَّ بـصـيـرا

يـعدو وراءَ هـديـلِ صـوتِـكِ حـامـلاً
قـلـبـاً بـريءَ الـعـنـفـوانِ غـريـرا

أمْـسَـكـتِ عنـهُ قـرنـفـلاً وربـابـةً

ورغـيـفَ صحنِ مـودَّةٍ ونــمــيـرا

لا تـحـرمـيـنـي لـذّةَ الـموتِ الـذي

أحـيـا بـهِ فـي الـعـاشـقـيـنَ دهـورا

لو تعلميـنَ بـمـا كـتـمتُ عذَرتِـنـي

وغـدوتِ ليْ في اللائـمـيـنَ عذيـرا

****

يـذكرُ الناقـد السوري عصـام شـرتح فِـي آخـرِ فصـول مؤلفـه الموسـوم " آفـاق الشـعرية - دراسـة فـي شـعر يحيـى السـماوي "، وَكأنَّـه أراد بـه مسـك الختـام لوليـده النقـدي مَـا نصـه " هـذه باختصـار رؤانـا عـن شـاعرية يحيـى السـماوي... إننـا لـن نقـول كمـا قـال غيرنـا إنـه شـاعر غنّـى فأبـدع، بـل نقـول : إنـه شـاعر جمـالي يعـزف علـى الجمـال... خبـزه الطيبـة، وروحـه الشـفافية الإنسـانية الطـاهرة، ولحنـه صـوته الـدافئ وتراكيبـه العذبـة. إنـه السـمو الجمـالي بكـل شـيء. هـذا هـو السـماوي كمـا وجدتـه فـي ثنايـا قصـائده؛ محلّقـا فـي فضـاء الشـعرية وألقها المستمر على الدوام ".

لَـمْ يكـن بوسـعِ الشَّـاعِر العراقـي زاحـم جهـاد مطـر، كـتم إعجابـه حيـال روعـة شـعْر السَـماويّ يحيـى وَرونقـه وَعذوبـة معانيـه، فـانبرى ذات مسـاء يصـف جماليـة إحـدى قصـائده قـائلًا " ادخلتنـا كعادتـك فـي عـوالمٍ روحيـة وفضـاءات واسـعة مـن الجمـالِ اللامتنـاهي والزاخـر بأعاجيـبِ التصـاوير وَنـوادر التعـابير وَلطـائف الجمـل والاقـوال؛ انهـا عـوالم مـن البهجـة والتـوهج حيـث تتـآلف الاشـياء فـي بوتقتـك وتنحنـي لنحـت ازميلـك الحريـري وتهـدأ العواصـف والاعاصـير علـى شـواطئك لتغـدو نسـائم تـداعب وجـه المـاء لتهتـز وتـرتعش منتشـية جذلانـة وهـي تسـبح

في نور؛ أي عالم يجمع كل هذا الجمال؟ غير العالم الذي يصنعه السماوي ".

مِنْ المعلومِ أنَّ شهاداتَ الإعجاب بروعةِ أداء السَماويّ يحيى شِّعْراً، كثيرة وَليس بمقدوري تضمينها دراسة واحدة أو حتى دراسات عدة، فعَلَى سبيلِ المثال لا الحصر، الشّاعِر وَالمترجم حسين السوداني يشاطر المقاماتي زاحم جهاد مطر إعجابه بشاعريةِ السَماويّ يحيى ويسجل فِي أحدِ المواقع الإِلِيكْتُرُونِيَّة مَا نصه " قصائد أخي وصديقي الحميم - يحيى السماوي - تشبه شجيرات الورد في الحدائق، كل صورة جمالية في هذه القصائد عبارة عن زهرة لها شذاها الخاص ولها نداها. ومازالت أزهار قصائد حبه المقدس عطرة ونظرة وندية لا تذوي كما ذوت أزهار حبنا في ثلوج المنافي ".

***

لا زال قيسُ بنُ الملوَّحِ نابضاً
والعامريةُ تستفزُّ خدورا

إنْ كان قلبي مُسرفاً بهُيامِهِ
فلأنَّ عشقي يأنفُ التقتيرا

حسبي أرى ضعفي أمامكِ قوّةً
ورداءَ ذُلّي في هواكِ غرورا

لا تـوصِـدي أبـوابَ مـملكةِ الهـوى

فـالـعشـقُ أرسـلـنـي إلـيـكِ سـفـيـرا

قـدَّمـتُ أوراقَ اعـتـمـادي : نـخـلـةٌ

تـهبُ النضيدَ وتـحـضنُ الـعـصـفـورا

وتـرشُّ دربَ الـعـاشـقـيـنَ بـظِـلِّـهـا

وتـمـدُّ مـن هـدبِ الجـفـونِ حـصـيـرا

أمَـرَ الـهـوى قـلـبي فـجـئـتُ مُـبـايـعـاً

عـيـنـيـكِ داراً والـفـؤادَ عـشـيـرا

****

بخـلافِ مَـا يظنـه بعـض القـراء، يؤكـد السَـماويّ يحيـى إنَّ شِّـعْرَ التفعيلـة أكثـر مِـن الشِّـعْرِ العمـودي فِـي أغلـبِ دواوينِـه الصـادرة، حيـث أنَّ للشِّـعْرَ عنـده ثوابتـه الأساسـية؛ لـذا يسـتخدم العـروض، لكـن ذلـك لا يعنـي - بحسـبِه - : " تزمّتـا بقـدر مَـا يعنـي شـغفاً بموسـيقى الشِّـعْر ". وَيضـيف السَـماويّ - الَّـذِي يعشـق الموسـيقى عَلَـى الـرغمِ مِـنْ عـدمِ أجادتـه العـزف حتـى ولـو عَلَـى صـفيحةٍ فارغـة - : " إننـي أقـرأ قصـائد النثـر أكثـر مِـن قـراءةِ الشِّـعْر الفراهيـدي بشـقيه العمـودي والتفعيلـي، وَحـدث يومـاً أنْ أخبرنـي صـديق أنـه قـرأ قصـيدة جديـدة للشَّـاعِرِ هـادي الناصـر وقصـيدة عموديـة جديـدة لصـديق شَّـاعِر، فكـان جـوابي لـه : أسـرع بإرسـال قصـيدة هـادي الناصـر. وحـدث ذات شـغف أن وصـلني ديـوان الصـديق الشَّـاعِر جـواد الحطـاب الموسـوم إكليـل موسـيقى علـى جثـة بيـانو، وكنـت علَـى موعـدٍ مَـعَ الطبيـب، فتفرغـتُ لقـراءةِ الـديوان،

وَأهملـت موعـد الطبيـب عَلَـى الـرغمِ مِـنْ أنَّ خيـولَ داء الربـو كانـت تطحن صدري وقتذاك ".

***

أنا مَنْ أنا ؟ ماعدتُ أذكرُ فانشري

خَبري عساني أستعيدُ حضورا

خوفي عليكِ إذا رفعتُ شِكايتي

يومَ الحسابِ وقد ظلمتِ حسيرا

شفتي بها ظمأ الرِّمالِ ألا اسقِني

من كأسِ مبسمكِ الضحوكِ زفيرا

يا بنتَ سومرَ للمشوقِ عذيرُهُ

لو جازَ في تهيامهِ المحظورا

أين الهروبُ إذا الصّبابةُ حمحمتْ

واستنفرتْ شغفَ الفؤادِ ظهيرا ؟

جَيَّشتُ أشواقي فأيُّ دريئةٍ

تُنجيكِ من ليلٍ يراكِ مُنيرا

حربي مُقدَّسةٌ ... فإمّا قاتلاً

أغدو فأقتل بالنسيمِ هجيرا

أو أنْ أخرَّ على يديكِ توسُّلاً

أنْ تأخذيني ما حييتُ أسيرا

أنجز الدكتور محمد فليح الجبوري وَالأستاذ علي كتيب دخن التدريسيان فِي كليةِ التربية - جامعة المثنى دراسة وسماها بـ " التصوير الرمزي في شعر يحيى السماوي شعر التفعيلة أنموذجاً ". وقد أكد الباحثان أنَّ فكرةَ بحثهما مردها بحسبهما إلى مَا لتقنيةِ الرمز من تأثيرٍ فعّال في تثويرِ دلالة النص الإبداعي من خلال تكثيف الدلالات بمساحةٍ ضيقةٍ ومحدودةٍ، مع توفر البعد الدلالي الذي ينفتح على تشظي التأويل، وَإنَّ الشاعرَ يحيى عباس السماوي لم يكن بعيداً عن هذا التوظيف، إذ سجل حضوراً مائزاً في مساحاته الشعرية الموصوفة بـ " قصيدة التفعيلة ". وقد جاء فِي صلب البحث مَا نصه " يحيى السماوي شاعرٌ يعيش باحثاً عن رموزٍ تعادل تجربته الشعورية، تلك التجربة التي تعمقت؛ أثر اغترابه وحنينه إلى وطنه، وعشقه المتمثل بتجربته الرومانسية، ورفضه المتواصل للمحتل بكافة تجلياته، لكون الرمز : يتيح للشاعر تعبير آفاق واسعة لمعانيه الشعرية، بمعنى إن المعنى الشعري الصادر عن أسلوب الرمز، هو معنى مكثف ذو تجليات خاصة ". كذلك تشير الدرسة فِي أحد مباحثها إلى أنَّ " المتتبع في شعره يكشف أنَّ نصوصه غنية بالرموز الفنية التي بثها في صورٍ حية تؤلف بين ذاته والواقع الذي يريد أنْ يصوره، فيخلق منها قوة تأثيرية ضاغطة على السامع والقارئ ".

***

سَمْعًا - أميري ما فرَضْتَ - وطاعةً

فلأنت عندي يا عراقُ أَميرُ !

كَمْ قيلَ إنَّك آمِرٌ مُتَعَسِّفٌ

و أنا - برغم رُجُولتي - مَأْمورُ !

حبّبت لي ما لا أحبّ، فخيمتي

جُرحي، وأَحْزَانُ السّنين عشيرُ !

كم بتّ مَذْبُوحًا بسيف صبابتي

وَ سَألتُ بَرْدًا فَاسْتَجَابَ سَعِيرُ !

قرّت بك الرّوح التي أرخصتُها

فَأَنَا بِحُبِّكَ ما حيَيْتُ – قَرِيرُ !

وقصائِدٌ عَذْرَاءُ لم يَعْرِفْ لها

بَوْحا يَرَاعٌ مُلْهَمٌ وسُطُورُ

****

نعرف أنّ الوطنَ الجريحَ

يستحمّ في بحيرةٍ

من الدّم المراقْ

لكننّا

نعشقه عشق ضرير للسّنا

و أنّنا

نرضى به هراوة ً . مشنقةً..

جوعًا.. أسًى..

طاحونةً أو مرجلَ احتراقْ

نرضى به سَوْطا على ظهورنا

أو

شوكةً تنام في الأحداقْ

السَماويّ يحيى أو " عملاق مِنْ عمالقةِ الأدب، ونخلة عراقية مِنْ نخيلِ السماوة " بحسب توصيف الشاعرة رند الربيعي، أجاب عَن سؤال يتعلق بظروفِ كتابة قصائده بالقول : " الشَّاعِر والصيّاد توأمان سياميان، كلاهما ينصب فخاخه وشِباكه ويبقى متحفّزاً محدّقاً بالأفق - باستثناءِ فرق واحد بينهما، فالصياد هو الَّذِي يصطاد طريدته، أمّا بالنسبةِ للشَّاعِر، فإن الطريدةَ هي الَّتِي تصطاده، فالشِّعْر حصان أصيلٌ عنيدٌ كثير الإعتداد بنفسِه، وبسببِ أصالته وَعناده وَاعتداده بنفسِه فإنه يُصرّ أنْ يختارَ - هو وليس فارسه - وقت الركض وَشكل الميدان وَنوع الركض، حين أكتب القصيدة، أكون أنا الحصان، وَالشِّعْر هو الفارس الذي يملي شروطه عليّ ". وَثمة رؤية مهمة للسَماويّ يحيى، أبلغني إياها ذات متنبي فِي أمس قريب بصيغةٍ بليغة أوجز فِيها إجابات لأربعةِ أسئلة " الشعر، السياسة، رحلة التربية، الغربة "، طالما كانت موضع عناية واهتمام الباحثين والدارسين، فضلاً عَنْ متذوقي الأدب، وَالَّذين ما انفكوا عَنْ سؤالٍ مفاده : أين وجد السَماويّ نفسه مِنْ بَيْنَ تلك الفضاءات الأربعة ؟، حيث قال السَماويّ مَا نصه : " وجدتُ نفسي في الشعر، فالشعر هو المرض الوحيد الذي أسأل الله في مساعدتي كي لا أشفى منه، ولسبب جوهريّ، هو أنني لا أمارس حريتي إلآ على الورق، ولأنه المنديل الوحيد القادر على تمسيدِ جرحي ومسح دموع قلبي، ولأنه أيضا الأفق الرحب الذي أطلق فيه حمائمي نحو نهر الأنوثة الضوئي لتعود لي محمّلة بالهديل، لكنني استفدتُ من جداول السياسة والتدريس ومن الغربة في إنماء عشب أبجديتي، فجدول السياسة أسهم في مدِّ جذوري داخل طين العراق، وجدول مهنة التدريس أسهم في ترسيخ موضوع ثقافة

الأسئلة، وأما الغربة فقد أثبتت لي أنَّ الإنسان كلما ابتعد عن وطنه فإنه سيزاد اقترابا منه والتصاقا به وشوقاً إليه ".

مَطَراً من الأعيادِ جئتِ

وكنتُ قبلكِ ـ كالعراقِ ـ يتيمَ عِيدْ

حَدَّقتِ بي وسألتِني : من أين أنتَ ؟

فقلتُ : من أعرابِ باديةِ السماوةِ مَسَّني عشقٌ

فغادرَني الرشادُ وها أنا : الحيُّ الشهيدْ

قبري معي يمشي ولا صحبٌ سوى موتي المُؤجَّلِ

أقتفي أثَرَ الملاكِ السومريةِ فانتهيتُ الى بلادِ الغربتينِ

وها أنا : تسعٌ وعشرون انتهينَ ولم أجدني فابحثي عني

صفاتي : نخلةٌ مُذ غادرَتْ بستانها عَقُمَ النضيدْ

إني عثرتُ عليكَ ـ قلتِ ـ فقمْ معي لِنُعيدَ للبستانِ خضرتَهُ

ولِلتنُّورِ أرغفةَ المسرَّةِ والسماوةَ للشريدْ

عندي شفاؤكَ من ضَياعِكِ فيكَ فادخلْ آمِناً قلبي

وكنْ في العشقِ سادنيَ الوحيدْ

*

ابن الفرات الأوسط الشَّاعِر العراقي يحيى الكاتب، كَتبَ مشخصاً إبداع السَماويّ يحيى، وَمعبراً عَنْ شاعريتِه، وَمبرزاً للتناصِ وَالتجديد وَالتحديث فِي تجربتِه الشِعْريَّة، فضلاً عَمَا أجاد بِه مِنْ نتاجٍ قد لا يتكرر بسهولةٍ بقولِه " يعجز الكتاب والنقاد عن درء مفارز التشبيه والاستعارة والكناية ومفاتيح التعابير الأدبية والبيان والبلاغة والجناس والطباق التي وظفها السماوي بشكلٍ يتفوق على غيره، مستفيداً من بعض تجارب من سبقه ليضع نقاطاً وعلامات لم يضعها من سبقه، فجاءت تجربته وحكمته متكاملة زاهية احتلت صفحات مجيدة من تاريخ الشعر العربي، وسجلها باسمه مفتخرا باستحقاقٍ ليس من منة لأحد عليه، وأكثر من هذا الشغل والمشاغلة التي احدثها الشاعر في المشهد الادبي العراقي والعربي والعالمي انه كان متواضعا جميلا، مما ألبس نتاجاته الغزيرة بردة البلاغة والبيان، موظفاَ ما أكتسبه من خبرة وحنكة ثقافية وأدبية في إشهار لوحة التجديد الماسية وأنا أول المبهورين بتجربته وإنسانيته وأغبطه على تملكه لكنانته الأدبية التي لا تنضب من أسلحة التعبير المتطورة بما اضاف لها وألبسها حللا جمالية أخرى ". كذلك كَتبَ ثانيةً فِي مداخلةٍ حول إحدى الدراسات الَّتِي تناولت تجربة السَماويّ مَا نصه " الشَّاعِر الكبير والإنسان الكبير يحيى السماوي كانت تجربته الشعرية جديرة بالاهتمام والدراسات لأنه أغنى المكتبة العربية والعالمية بالمألوف وغير المألوف من الشعر العربي، وجدد وأضاف وتألق وتسامى حتى أستحوذ على قلوب الأدباء والشعراء والمثقفين والناس المتلقين والمتذوقين، فصار علامة فارقة كاد أنْ يكون أو أنه كان مثار اهتمام الناس وانشغالهم فتألفت بحقة الكثير مِن النصوص النقدية، وتدارست تجربته في كثير من جامعات العالم وصار مادة بحث الرسائل العلمية والعملية للماجستير والدكتوراه، وشغل الناس وملأ الدنيا حتى يتخلد بحياته

لا بمماتـه أطـال الله فـي عمـره الكـريم وأنـا أسـال لـه الـذي علـم بـالقلم أن يحفظه بعينه التي لا تنام ".

سـأقـومُ مـن قـبـري لأحيـا مـن جـديـدْ :

طـفـلاً .. فـتـىً .. شـيـخـاً كـمـا قـيـسُ الـمُـلـوّحُ

لا كـهـرون الـرشـيـدْ

هيَّـــأتُ نـــاراً لـلـتـصـاويـــرِ الـقـديـمـــةِ والـرسـائـــلِ والـمـنـاديـــلِ الـحـريـرِ

ومـعـولاً لـكـؤوس مـائـدتـي

ومـحـرابـاً يـلـوذ بـهِ مـن الأمـسِ الـبـعـيـدْ

مـا سـوف أتـلـو مـا تـيَـسَّـرَ فـي جـلالـكِ مـن قـصـيـدْ

وضـيـاءَ قـنـديـلٍ يُـريـنـي مـا أريـدْ

لا تـسـألـيـنـي عـن رمـاد الأمـسِ قـد أبـدلـتُ ذاكـرتـي

فـخـبـزُ الأمـسِ تِـبـنٌ والـنـمـيـرُ كـمـا الـصـديـدْ

عـدتُ الـجـديـدَ كـمـا الـولـيـدْ

مَـلِـكـاً غـدوتُ

وكـنـتُ آخـرَ مُـسـتـبـاحٍ مـن سـلالاتِ الـعـبـيـدْ

*

لـيس خافيـاً أنَّ مهمـةَ تعزيـز دراسـتي الحاليـة بِمَـا متـاح مِـنْ معلومـات، ألزمنـي الحـرص عَلَـى متابعـةٍ دقيقـة لِمَـا ينشـره السَـماويّ يحيـى مِـنْ نتاجـاتٍ أدبيـة، بالإضـافةِ إلـى مَـا يُكتَـب عَنـه بمَـا تبـاين مِـنْ أجنـاس الكتابـة الأدبيـة. وَقـد كانـت معاينـة آراء القـراء الأعـزاء مِـنْ بَـيْنَ آليـات هَـذَا النشـاط الَّـذِي دلنـي عَلَـى مـداخلاتٍ وَتعليقـات تعكـس خزينـاً ثقافيـاً وقـدرة عَلَـى التعبيـرِ بأسـلوبٍ أدبـي جميـل، وَلـيسَ أدل عَلَـى ذلـك مِمَـا يكتبـه القـارئ الكـريم " سـيد حميـد الراضـي " الَّـذِي لفـت انتبـاهي منـذ مـدة فِيمَـا يكتبـه مِـنْ تعليقـاتٍ جميلـة وموضـوعية حيـال بعـض مَـا ينشـره السَّـماويّ يحيـى مِـنْ نتـاجٍ شـعري فِـي المواقـعِ الإِلِيكْتُرُونِيَّـةُ، فظننـت بدايـة أَنَّـه أحـد طلبـة السَّـماويّ فِـي مدينـة السَـماوة، فبـدأت البحـث الحثيـث عَنـه فِـي قنـاةِ التواصـل الاجتمـاعي " فـيس بـوك "؛ لأجـلِ الحصـول عَلَـى مَـا يُشـبع نهمـي مِـنْ معلومـاتٍ قصـد تعزيـز الدراسـة الحاليـة، لكنـي فوجئـت بِمَـا خـالف ظنـي وتـوقعي، حيـث ظهـر أنَّ الراضـي - الفنـان المسـرحي السـابق وعاشـق الشـعر وَاللغـة العربيـة - مِـنْ سـكنةِ مدينـة بغـداد، وَلَـمْ تكـن لَـه معرفـة بالسَّـماويّ إلا خـلال هَـذَا العـام بعـد أنْ أعجـب - بحسـبه - بمـا ينشـره مِـنْ نتاجـاتٍ عبـر مَـا متـاح مِـنْ الوسـائلِ الإعلاميـة، وَلاسـيَّما المواقـع الإِلِيكْتُرُونِيَّـةُ، ومِـنْ خـلالِ متابعـة الراضـي لأنشـطةِ السَـماويّ أشـار إليـه ذات مـرة بـالقول " السَـماويّ شـاعر وإنسـان، أبهرنـي بمـا يملـك مـن شـعرية عظيمـة تضـاهي الشـاعر الكبيـر بـدر شـاكر السـياب، ولـه طريقـة مبتكـرة بمـزج مواضـيع كبيـرة فـي الحـب والتصـوف والغربـة وحـب الـوطن والأرض والإنسـان ومواضـيع كثيـرة بتركيبـاتٍ بسـيطة ومعـانٍ كبيـرة وخيـالات جامحـة - السـهل الممتنـع - وهـذا هـو الابـداع والخلـق بعينـه ". ويضـيف الراضـي " حـين أقـرأ شـعر السـماوي، لا أتمالـك نفسـي، فـأجمح معـه، وينتـابني شـعور بـأني مَـنْ قـال هـذه المقطوعـة أو كتـب

تلـك الرباعيـة أو القصـيدة، وذلـك لسـبب بسـيط لأنـه شـاعر حقيقـي وصاحب تجربه قاسية .. هكذا يبدو لي ".

***

ذات أصـبوحة شَـدْوٍ، أريجهـا ذائقـة قـريض السَـماويّ بأسـلوبِه خفيـف الظـل مِـنْ سـهلٍ ممتنـع، بادرتـه بسـؤالٍ عَـنْ فلسـفتِه حيـال معنـى الوفـاء، فأجـابني السَـماويّ يحيـى بصـراحتِه المعهـودة : كتبـت يومـاً إلـى الأديـبِ المناضـل صـباح محسـن جاسـم مَـا أحسـبه جوابـاً عَلَـى سـؤالك بِمَـا نصـه " رفيـق صـباي وشـبابي وصـديق أمسـي البعيـد، ومـا تبقـى فـي حقيبـةِ عمـري مِـنْ زمـنٍ لـم أعشـه بعـد، أتعمـد الإعتـراف بـين يـديك بحقيقـة أننـي تعلمـت مِـنْ صـبرك مـا أسـهم فـي فخـرِ طـين صـبري ليغـدو أكثـر صـلابة مِـنْ قـرونِ الوعـل، كمـا تعلمـت مِـنْ وفائـكَ والبقـاء علـى العهـدِ مـا عمّـق إيمـاني بـأن الحـب كـالوطن وكالـدين ... فكمـا أنَّـه لا يمكـن أنْ يوجـدَ نصـف ديـن ونصـف وطـن ونصـف حـب، فإنَّـه لا يمكـن أنْ يكـون الوفـاء إلآ كـاملاً تمامـاً كـ : الحـب والـدين والـوطن "، فأيقنت إنَّ العشقَ يمسحُ قلوب بني آدم بمنديلِ الطَهَارة.